أسلوب علي الطنطاوي في الحديث عن المرأة

كان الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله ذا أسلوب مميز في تربية بناته ومعاملتهن، وفي الحديث عن المرأة عموماً. وله مواقف مشهودة في حل المشكلات الزوجية ومعاملة المرأة في أسلوب أدبي رفيع.

بقلم: محمد حيان حافظ
سورية

و سنورد نماذج من كتاباته في ذلك. فقد كتب في مقال بعنوان زوجتي: « قال لي صديق، معروف بجمود الفكر، وعبادة العادة، والذعر من كل خروج عليها أو تجديد فيها. قال: أتكتب عن زوجتك في الرسالة تقول إنها من أعقل النساء وأفضلهن؟ هل سمعت أن أحدا كتب عن زوجته؟ إن العرب كانوا يتحاشون التصريح بذكرها، فيكنون عنها بالشاة أو النعجة استحياء وتعففا، حتى لقد منع الحياء جريرا من رثاء زوجه صراحة، وزيارة قبرها جهارا. ومالك بن الريب لما عد من يبكي عليه من النساء قال:

فمنهن أمي وابنتاها وخالتي وباكية أخرى تهيج البواكيا

فلم يقل وامرأتي. وكذلك العهد بآبائنا ومشايخ أهلنا. لم يكن أحد منهم يقول: زوجتي، بل كان يقول أهل البيت وأم الأولاد، والجماعة، والأسرة، وأمثال هذه الكنايات. أفترغب عن هذا كله، وتدع ما يعرف الناس، وتأتي ما ينكرون؟ قلت نعم. فكاد يصعق من دهشته مني، وقال: أتقول نعم بعد هذا كله؟ قلت نعم مرة ثانية. أكتب عن زوجتي، فأين مكان العيب في ذلك؟ ولماذا يكتب المحب عن الحبيبة وهي زوج بالحرام، ولا يكتب الزوج عن المرأة وهي حبيبة بالحلال؟ ولماذا لا أذكر الحق من مزاياها لأرغب الناس في الزواج؟ والعاشق يصف الباطل من محاسن العشيقة، فيحبب المعصية إلى الناس. إن الناس يقرؤون كل يوم المقالات والفصول الطوال في مآسي الزواج وشروره، فلم لا يقرؤون مقالة واحدة في نعمه وخيراته. ولست بعد أكتب عن زوجي وحدها، ولكني كما كان هوجو يقول: إني إذ أصف عواطفي أبا، أصف عواطف جميع الآباء».

ويقول في المرأة المسلمة: «إنكم تحسبون أن نساء العرب كن، مذ كن، كأكثر من نرى من النساء، جاهلات خاملات، يثرن المشكلات، وينغصن عيش الرجال، أو مترفات مدللات همهن صبغ الوجوه، وتلوين الأظافر، وإنفاق الأموال، فتعالوا أخبركم كيف كانت المرأة على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، كيف عملت في بناء هذا الصرح العظيم، وشاركت في إقامة الدولة الإسلامية، وكيف سعى النساء في كل مجال كان يسعى فيه الرجال، في مجال الدين والتقوى، وفي مجال العلم والأدب، وفي مجال المعارك والحروب. وكيف كان منهن المرأة العاقلة الحكيمة كخديجة التي وضعت ثاني حجر في صرح الدعوة. والمرأة العالمة المعلمة كعائشة التي كانت أستاذة عصرها، وكان فحول العلماء تلاميذها، وكانت أعجوبة في سعة روايتها. والمرأة الأديبة التي خدمت بالدعاية اللسانية، بالشعر يوم كان الشعر هو الصحافة وهو الإذاعة وهو سبيل الدعاية لا سبيل غيرها، كصفية، ونعم بنت سعيد، وهند بنت أثاثة. والمرأة العاملة في المصالح العامة كأسماء بنت الصديق يوم الهجرة، وموقفها العظيم في ذلك. والمرأة في الدفاع، كما صنعت صفية لما كانت في الحصن مع النساء، فرأت يهوديا يطيف بالحصن فخافته على النساء أن يؤذيهم، فشدت وسطها ونزلت بالعمود فضربته حتى قتلته. وكان منهن المرضة المواسية، كرفيدة التي جعلت في خيمتها مستشفى سيارا. ومنهن أيضا المرأة المقاتلة التي تأتي بالبطولات هذه أم عمارة، نسيبة المازنية. وهذه أم سليم تثبت في هوازن في الموقف المهول. وغيرهن كثير. هكذا كانت المرأة العربية المسلمة، جمعت أطراف الفضائل، وحازت خلال الخير، وكانت للدين والدنيا، وللعلم وللأدب، وللدار وللحياة، وكان هديها القرآن، ودليلها الشرع، وغايتها رضا الله، والنجاة في الآخرة، فأين نساؤنا اليوم؟».

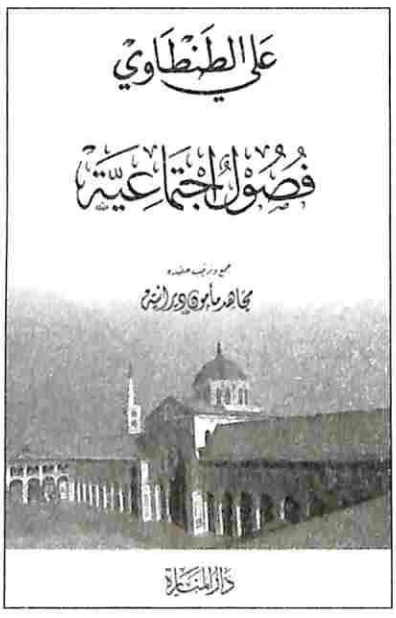

وقد توزعت مقالاته عن المرأة في كتبه وبخاصة كتاب فصول اجتماعية من الصفحة ١٢٥ إلى الصفحة ٣٠٠ نهاية الكتاب حيث عرض بالحديث لمختلف الجوانب التي تتعلق بالمرأة والحياة الزوجية. ■